ابن الخياط وأثره النحوي

دكتور ماهر عبد الغني كريم

يعد ابن خياط أحد العلماء الذين رسخوا قواعد النحو ، ومع هذا لم يحظ باهتمام الباحثين والدارسين فضلا عن قلة من ترجم له ، حتى الذين ترجموا له أتت ترجمتهم موجزة لا تفي بالغرض وقد يأتي اسمه عرضا في ثنايا الترجمة لغيره ومن هنا نلقي الضوء على هذه الشخصية التي لعبت دورا كبيرا في هذا العلم .

اسمه :

هو : محمد بن أحمد بن منصور ، أبو بكر بن الخياط (... — ٣٢٠هـ) أصله من سمرقند ، قدم بغداد بعد وفاة المبرد (ت ٢٨٥) وضعف ثعلب (ت ٢٩١) أصيب بالصمم الشديد اذ كان الكلام لا يخرق سمعه فلم يمكن تعلم النحو منه وانما كان يقوله فيما كان يؤخذ عنه على ما يمليه .

وقد حدد ياقوت الحموي(١) زمن قدومه البصرة فقال : انه انحدر مع البريديين حين غلبوا على البصرة وعاش بها الى أن توفي ببغداد(٢).

---

(١) معجم الأدباء ١٤١/١٧ .

(٢) راجع في ترجمته : الفهرست ٨٩/٢ ، وانباه الرواة ٥٤/٣ ، نزهة الألباء ص ٢٤٧ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١١٧، ١١٩ والوافي بالوفيات ٨٨/٢ ، ومعجم الأدباء ١٤١/١٧ ، وبغية الوعاة ٤٨/١ ، والأعلام ٣٠٨/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٣/٩ .

شـــيوخه :

لم أقف فى كتب التراجم على شيوخه الذين تلقى عنهم بطريق مباشر غير أنه قد أتيح له تلقى العلم عن جماعة من العلماء يظهر هـــذا محاوراته للعلماء ومناظراته لهم مما ســـنذكره بعد قليل ، من هؤلاء الذين أخذ عنهم :

١ ــ المبرد :

هو : أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى (١١٠ ــ ٢٨٥هـ) من أشهر علماء البصرة أخذ عن الجرمى والمازنى ، من مؤلفاته : الكامل فى اللغة والأدب والمقتضب والمحتسب(٣) .

وقد تقدم أن ابن الخياط دخل بغداد بعد وفاة المبرد وهو ما ذكره ياقوت(٤) الحموى ينص الزبيدى(٥) على أن ابن الخياط لقى المبرد وأخذ عنه .

٢ ــ ثعلب :

هو : أحمد بن يحيى بن زيد الشـــيبانى (٢٠٠ ــ ٢٩١هـ) امام الكوفيين فى النحو واللغه ، روى عن سلمه بن عاصم والفراء . ومن مؤلفاته : الفصيح ، والقراءات ، والمجالس ، ومعانى الشعر(٦) .

---

(٣) تنظر ترجمته فى : الفهرست ١/٨٧ ــ ٨٩ ، والبداية والنهاية ١١/٧٩ .

(٤) معجم الأدباء ١٧/١٤١ .

(٥) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٧ مع هامشها .

(٦) تراجع ترجمتـــه فى : نزهة الألبـــاء ص ٢٢٨ ــ ٢٣٢ ، وغاية النهاية ١/١٤٨ .

وتأثر ابن الخياط به يظهر فى المحاورات والمناقشـــات التى كانت تعقد بينهما(٧) .

٣ ــ الطبرى :

هو : أبو جعفر أحمد بن محمد بن رســـتم بن يزديار الطبرى ، يبعد فى طبقـــة أبى يعلى ابن مزرعة ، لقى ابن دريد فى البصرة ، له مؤلفات منها : كتاب المقصور والممدود وكتاب صورة الهمزة والتصريف وكتاب فى النحو(٨) .

وقدوجدت فى طبقات النحويين واللغويين(٩) فى ترجمة الأخفش قول الزبيدى : قال الأوارجى الكاتب : حدثنى أبو بكر محمد بن أحمد الخياط غلام أبى جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبرى أنه قصـــد أحمد بن يحيى ثعلب ، فدق عليه الباب فخرج وبيده جزء من مسائل الأخفش ، فقال : ويحك ! صاحبك هذا مجنون ويتكلم بما لا يفهم..»

تلاميـــذه :

١ ــ الزجاجى :

هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى (... ــ ٣٢٩ أو ٣٣٧هـ) نسبة الى شيخه أبى اسحاق بن السرى الزجاج لملازمته اياه.

تتلمذ على الزجاج وابن السراج والأخفش الصغير وابن الأنبارى

---

(٧) ينظر : طبقات النحويين واللغويين ص ١١٧ .
(٨) ترجمته فى : الفهرست ١/٦٥ ، ٦٦ .
(٩) ص ٧٣ ، ٧٤ .

وابن الخياط وغيرهم . ومن مؤلفاته : الجمل فى النحو والأمالى الصغرى والوسطى والكبرى والايضاح فى علل النحو(١٠) .

قال عن ابن الخياط شيخه(١١) :

« ومن علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان وأبو بكر بن شقير وأبو بكر بن الخياط ، لأن هؤلاء قدوة أعلام فى علم الكوفيين وكان أول اعتمادهم عليه ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين » . أ هـ

٢ ــ الفارسى :

هو : أبو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٢٨٨ ــ ٣٧٧هـ) امام العربية فى عصره وأستاذ ابن جنى ، له مؤلفات منها : الايضاح والاغفال والشيرازيات والحجة(١٢) .

وعن تأثره بشيخه ابن الخياط قال ياقوت(١٣) : وقد قرأ عليه(١٤) أبو على الفارسى وكتب عنه شيئا من علم العربية رأيت ذلك بخط أبى على وله مع أصحاب الخياط قصة قد ذكرت فى أخبار أبى على ... وقال أبو على الفارسى فى ضمن رقعة كتبها الى سيف الدولة جوابا عن

---

(١٠) تنظر ترجمته فى : اباه الرواة ٢/١٦١ ، والبداية والنهاية ١/٢٢٥ ، والنجوم الزاهرة ٣/٣٥٧ .

(١١) ينظر : الايضاح فى علل النحو ٧٩ ، ٨٠ ، ومعجم الأدباء ١٧/١٤١ والمسائل المشكلة البغدادية ص ٢ .

(١٢) تنظر ترجمته فى : نزهة الألباء ص ٣١٥ ــ ٣١٧ ، ولسان الميزان ٢/١٩٥ ، ومفتاح السعادة ١/١٧١ ، ١٧٢ .

(١٣) معجم الأدباء ١٧/١٤١ .

(١٤) أى : على ابن الخياط .

رقعة وردت منه ذكرتها فى أخبار أبى على وأما قوله انى قلت ان ابن الخياط لا يعرف شيئا فغلط فى الحكاية كيف استجيز ذلك ؟ وقد كلمت ابن الخياط فى مجالس كثيرة(١٥) أ هـ .

٣ ــ أبو الفهد :

لم أقف على ترجمة كاملة له ، قال عنه(١٦) القفطى : نحوى بصرى قرأ على الزجاج كتاب سيبويه وكان فيه بله وتغفل قال له الزجاج ــ وقد قرأ عليه كتاب سيبويه دفعة ثانية ــ : يا أبا فهد أنت فى الدفعة الأولى أحسن منك حالا فى الثانية . صنف كتاب الايضاح وكان تلميذا لابن الخياط(١٧) .

أخلاقه :

كان حميد الأخلاق طيب العشرة ذكر ذلك غير واحد ممن ترجم له قال الزجاجى(١٨) ــ راويا عنه فى القناعة ــ : أنشدنا ابن الخياط النحوى عن ثعلب عن الكسائى :

نهيت عمرا ويزيد والطمع والحرص يضطر الكريم فيقع

فى دحلة(١٩) فلا يكاد ينتزع

وابن الخياط قد خلف ذرية من العلماء فقد جاء فى كتاب التذييل

---

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) انباه الرواة ١٥٢/٤ .

(١٧) ينظر : طبقات النحويين واللغويين ص ١١٩ ، وبغية الوعاة ٢٤٩/٢ .

(١٨) الأمالى ص ١٩٧ .

(١٩) الدحلة البئر . اللسان ١٣٣٦/٢ « دحل » .

والتكميـــل باب ما وقع فيه التكافؤ من الحـــروف فى الادغام : قال أبو حيان(٢٠) :

« ... حكى أبو على الأهوازى فى كتـــاب الوجـــيز له عن قالون بخلاف عنه موافقة حفص فى « بل ران »(٢١) على الاظهار(٢٢) الا أنه لا يسكت سكتة لطيفة ، وحكى أبو محمد عبد الله بن أحمد سبط(٢٣) أبى منصور الخياط فى كتاب المبهج له عن قالون من جميع طرقه أنه أظهر اللام فى قوله تعالى « بل ربكم »(٢٤) و « بل ران » والباقون بالادغام . أهـ .

كتبـــه :

لم نستطع الوقوف عـــلى شىء من مؤلفاته التى لو أتيحت لنـــا لأفدنا فائدة كبيرة منها ، والذين ترجموا له ذكروا له مؤلفات وهى :

١ ـــ معانى القـــرآن(٢٦) ٢ ـــ النحو الكبير(٢٧) ٣ الموجـــزة فى النحو(٢٨) ٤ ـــ المقنع فى النحو(٢٩) .

---

(٢٠) جـ ٦١٨/٨ رسالة دكتوراه مقدمة الى كليـــة اللغـــة العربية بالقاهرة اعداد د. سليمان محمد الحلفاوى برقم ٢/٢٠ .

(٢١) من الآية ١٤ المطففين .

(٢٢) أى : اللام .

(٢٣) أى : اللام .

(٢٤) هو الولد أو ولد البنت . اللسان ١٩٢٢/٣ « سبط » .

(٢٥) من الآية ٥٦ الأنبياء .

(٢٦) كشف الظنون ١٧٣٠/٢ .

(٢٧) كشف الظنون ١٩٣٥/٢ .

(٢٨) كشف الظنون ١٨٩٩/٢ .

(٢٩) كشف الظنون ١٨١٠/٢ .

مكانة ابن الخياط فى علم النحو

شهد القرن الرابع الهجرى مولد مدرسة نحوية نهج علماؤها نهجا جديدا فى دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم منهجهم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا سميت بالمدرسة البغدادية التى ظهرت فى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : طائفة تغلبت عليها النزعة البصرية أى أنها ليست بصرية تماما أمثال : الزجاج (ت ٣١١) وابن السراج (ت ٣١٦) ومبرمان (ت ٣٤٥) .

الاتجاه الثانى : طائفة تغلبت عليها النزعة الكوفية أمثال : أبو موسى الحامض (ت ٣٠٥) وابن الأنبارى (ت ٣٢٨) .

الاتجاه الثالث : طائفة جمعت بين النزعتين أمثال : ابن قتيبة (ت ٢٧٦) والأخفش (ت ٣١٥) وابن شقير (ت ٣١٧) وابن الخياط (ت ٣٢٠) ونفطويه (ت ٣٢٣) وان دل هذا التنوع على شىء فانما يدل فتورحدة الخلاف بين البصرة والكوفة وظهور اتجاه يغلب عليه طابع الاقتباس والاختيار والتحرر من قيد العصبية التى طغت على الأحكام النحوية قرونا(٣٠) .

وقد عد الزبيدى(٣١) ابن الخياط فى الطبقة السادسة من نحاة البصرة فقد كان ابن الخياط أحد الذين تصدروا مجالس العلم ببغداد بعد أن ضعف ثعلب وأصيب بالصمم وآراؤه النحوية والصرفية يمكن

---

(٣٠) الخلاف بين النحويين دراسة وتحليل ص ١٠٠ ، ١٠١ د٠السيد رزق الطويل ، والقرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ص ١٣٧ وما بعدها / عبد العال سالم مكرم .

(٣١) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٧ .

الوقوف عليها فى ناحيتين ، الناحية الأولى : المناظرات النحوية التى جرت بين النحاة وكان ابن الخياط طرفا فيها أو حكما يرجع اليه لابداء الرأى • ولايضاح هذا لابد من الوقوف على أمور منها :

١ ــ معنى المناظرة والفرق بينها وبين المحاورة • تطلق المناظرة فى اللغة على : التراوض فى الأمر ، ونظيرك الذين يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة والنظير المثل(١٢) • وفى الاصطلاح : تطلق على تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وابطال قول صاحبه معرغبة كل منهما فى ظهور الحق فكأنها بالمعنى الاصطلاحى شاركتهما فى النظر الذى هو الفكر المؤدى الى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب(٣٣) •

أما المحاورة : فقد عرفها أهل اللغة بأنها : مراجعة المنطق والكلام فى المخاطبة(٣٤) ، والتحاور والمحاورة المراجعة فى الكلام ، وقيل : هى المحاورة وهى مداولة الجواب ومراجعته(٣٥) •

والمحاورة والحوار المداورة فى الكلام ومنه التحاور قال تعالى : « والله يسمع تحاوركما »(٣٦) •

---

(٣٢) اللسان ٤٤٦٧/٦ نظر •

(٣٣) ينظر : أداب البحث والمناظرة للشيخ الشنقيطى ص ٣ •

(٣٤) اللسان ١٠٤٤/٢ « جور » •

(٣٥) ابن يعيش ٩/١ •

(٣٦) من الآية ١ المجادلة وانظر : مفردات القرآن للراغب الأصبهانى ص ١٢٥ •

(٣٧) ينظر : مناظرة العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الرابع ص ١٢ ــ ١٣ تأليف د• محمد آدم تركى ــ دار الفيصلية ، والقرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ص ١٣٨ ــ ١٤٣ تأليف عبد العال سالم مكرم ط دار المعارف •

والمناظرة لهما سمات منها : أن اللقاء فيها يعقد بأمر ذى سلطان كما أنها تقتضى حكما للفصل .

أما المحاورة فتتسم بالهدوء والعفوية والبعد عن المفاخرة وهى تكون بين الأستاذ وتلاميذه أو بين نحاة يجمعهم اتجاه واحد أو سائل يريد المعرفة والفهم(٣٧) .

والمتتبع لتاريخ نشأة المدارس النحوية يجد أن المحاورات والمناظرات ظهرت مسايرة لظهور الاتجاهات النحوية كالبصرى والكوفى. كالكسائى (ت ١٨٩هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وابن الأعرابى (ت ٢٠٣هـ) وغيرهم من الكوفيين فى مواجهة سيبويه (ت ١٨٠هـ) ويونس (ت ١٨٢هـ) واليزيدى (ت ٢٠٢هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ) وغيرهم من البصريين .

وقد استمرت رحى الحوار بين الاتجاهين ساخنة على يد هؤلاء العلماء وتلاميذهم وكان حادى عيسهم فى البصرة أبو عثمان المازنى والجرمى والتوزى وأبو حاتم السجستانى وغيرهم .

ولقد أفاد النحو كثيرا من هذه المناظرات والمعارك ثم هدأت حدة هذه المساجلات حين التقى الفريقان فى بغداد فنشأ جيل جديد تتلمذ على المبرد كما تتلمذ على ثعلب ، فهدأ الحوار غير أنه لم ينقطع فظهر مذهب أهم ما يميزه المزج والاختيار(٣٨) .

وقد ظهر ابن الخياط فى هذه المناظرات والمحاورات كعالم له رأيه كما له تلاميذ ينقولون عنه ويعضدون مواقفه ويرجحون آراءه .

٢ ــ نأخذ نماذج من هذه المناظرات لنقف على دور ابن الخياط

---

(٣٨) نشأة النحو للشيخ الطنطاوى ص ٤٩ وما بعدها .

فى هذه المجالس وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير من هذه المجالس وأسموها الأمالى مثل :

١ ــ أمالى ثعلب التى سميت باسم مجالس ثعلب ٢ ــ أمالى الزجاجى (ت ٤٣٠) ٣ ــ أمالى اليزيدى محمد بن العباس (ــ ٣١٠) ٤ ــ أمالى القالى اسماعيل بن القاسم (٢٨٨ ــ ٣٥٦هـ) ٥ ــ أمالى المرزوقى (ــ ٤٣١) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ ٦ ــ أمالى المرتضى على بن الحسين (ت ٣٥٥) ٧ ــ أمالى ابن الشجرى هبة الله بن على (ت ٥٤٢) ٨ ــ أمالى ابن الحاجب عثمان بن عمر (٥٧٠ ــ ٦٤٦هـ) . وكل هذه الأمالى مطبوعة ماعدا الخامس منها .

وقد أكثر الزجاجى ايراد هذه المجالس فى كتبه كالأمالى المتقدم وأيضا كتابه مجالس العلماء ناقلا عن النحاة ومنهم شيخهم ابن الخياط الذى روى عنه الكثير منها وهاك بعض الأمثلة :

أ ــ مجلس أبى العباس ثعلب مع أبى اسحاق الزجاج(١)

قال أبو عمر : كان أبو العباس أحمد بن يحيى عندى فى منزلى بمدينة أبى جعفر المنصور ، فدخل علينا ابراهيم بن السرى الزجاج فسأل أبا العباس عن الخراتين ما هما ؟ وذكر أن أمير المؤمنين المعتضد خرج اليه فسأله عن ذلك ، فقال العباس : يقول ابن الأعرابى : هما كوكبان من كواكب الأسد ويقول أبو نصر صاحب الأصمعى:هما كوكبان وفى زبرة(٢) الأسد .

والذى عندى أنهما كوكبان فى منخرى الأسد وهما من خرت

---

(٣٩) ينظر مجالس العلماء للزجاجى ص ٩٢ ، ٩٣ .

(★) الزبرة : الوسط .

الابرة وهو كتبها • فقال أبو العباس : هذا خطأ ، لأن خراة لا تكون من الخرت ، وقال : هما خراتان لا يفترقان بل خراة مثل حصاة وحصاتان • فدفع ذلك قال : فقد قيل يوم أرونان من رارنة ، يراد به الشدة • فقال له : هذا يقوله ابن الأعرابى وهو غلط لأن أرونان لا يكون من الرنة ولكنه من الرون وهو ماء الرجل وذلك أنه اذا شرب قتل • فأريد يوم شديد كشدة هذا • فقال له : فأغطا فى الخراتين كما قلت حجة فقال : الفراء ينشد :

اذا رأيت أنجما من الأسد جبهته أو الخراة والكبد
بال سهيل فى الفضيح ففسد وطاب ألبان اللقاح فبرد

فهذا دليل على أنهما ليسا فى المنخر • فقال أعطنى الكتاب الذى فيه هذا فغضب أبو العباس وقال له : تقول لى هذا القول ! والله ما كلمتك قط الا له — وأومأ الى — والا فلست فى موضع تكلم أو تخاطب ، لا والله ولا أصاحبك ! وقد كنت أرفع نفسى عنه عنه وعن مناظرته ، والله ولا أصاحب صاحبك عندى فى حد من أناظره لو كان حاضرا يريد بذلك المازنى وكان حاضرا •

وقال : معنى : « ما بال سهيل » مثل ، أى جاء الشتاء مفسد الفضيح وجاد اللبن • وقال : طاب وبرد ، لأنه رده على الواحد ، لأن الجمع بمعنى الواحد ؟ لأن اللبن والألبان بمعنى واحد •

قال أبو بكر — ابن الخياط :

فلقيت الزجاج فى غد ذلك اليوم — فحدثنى بأمر المجلس ، فقلت له : فأنت تقول : حصبى وحصيات ، فتقول : فى خراة مثل هذا خراة وخريات ؟ فأمسك فجئت الى ثعلب فحدثته بذلك فسر به(٤٠) •

---

(٤٠) مجالس العلماء للزجاجى ص ٩٢ ، ٩٣ •

تعقـــيب :

هذه المناظرة بين ثعلب والزجاج فى معنى الخراتين اللغوى ومحاولة كل منهما تعضيد رأيه نجد ابن الخياط ينتصر لثعلب ويضعف ما ذهب اليه الزجاج بعد مجادلته وحين بلغ ثعلب ذلك سر بما قاله ابن الخياط.

ب ــ مجلس ابن الخياط والزجاج

قال الزجاجى(٤١) :

حدثنى أبو بكر محمد بن أحمد الخياط ، قال : لما قدمت من سر من رأى قصدت أبا الحسن على بن اسماعيل ، فلما لقيته رحب بى وقرب مجلسى ، ثم قمنا نمشى حتى أتينا مجلس ابراهيم بن السرى وعنده أصحابه فعرفه أبو الحسن موضعى ، فأدنانى فلما جلست اليه وهو أول يوم التقينا فيه ــ سألنى فقال : كيف تقول : خمستكم بينكم درهم ؟ فقلت : بينهم درهم أو بينهما درهم . فقال : كيف تبنى من جردحل(٤٢) من قويت ؟ قلت : لأن الواو التى بعدها لام فيكون : قيوو ، ثم تقلب الواو التى بعد الياء ياء فتقول : قيو فقال : الصواب قوى ، لأن الواو المدغمة بمنزلة المتحركة . فقلت له : كيف تبنى مثل فعل من قويت ؟ .

قال أبو بكر : الذى ذهب اليه هو مذهب ، والأول عندى أجود منه ، فلذلك أجبت به .

---

(٤١) ينظر مجالس العلماء للزجاجى ص ١٠٠ ، والتذييل والتكميل جـ ١/٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٤٢) هو الضخم الغليظ يقال : ناقة جردحل ضخمة غليظة ، اللسان ٥٩٠/١ جرد .

فقال لى : كيف تبنى مثل عثول(٤٣) ــ بكسر فسكون ففتح فلام مشددة ــ من قويت ؟ قلت : قيوو فقال : هذا صــواب ، لأن الواو زائدة • قلت : هى ملحقة ، والملحق يجرى مجرى الأصل • قال : وكيف تبنى مثل فعل من غذوت ؟ فقلت : غزى فأنكره وقال : الصواب غزو كما قال فى الحرف المدغم قوى فأمسك •

تعقـــيب :

يلاحظ فى هذا المجلس اتفاق الزجاج وابن الخياط وأنك تقول : قيووا(٤٤) •

ج ــ بين ثعلب ومحمد بن قادم

قال الزجاجى(٤٥) :

حدثنى أبو بكر بن الخياط قال : قال لى أبو العباس : دخلت على محمد بن قادم فقال لى : كيف تقول : الذى أظنك زيد ؟ فقلت له : هذه غلط الفراء فيهــا فقال : من أين غلط ؟ قلت : أصــل أن لا يضمر خبر المعرفة ثم أضمره فقال : الذى أظنك زيــد ، يريد : أظنكه ، والهاء خبر الكاف فأضمره قال : فكيف أراد أن يقــول ؟ قلت : الذى أظن اياك فتضمر الاسم •

فان قال : الذى أظنه زيد فجعل الهاء راجعة الى الذى فالمسألة فاسدة ، لأن الظن يبقى بغير خبر ، فان جعل الهاء كناية عن مذكور

---

(٤٣) هو الكثير اللحم الرخو وأيضا الكثير شعر الجسد والرأس. اللسان ٤/٢٨٠٨ عثل •

(٤٤) ينظر : شرح الرضى على الشافية ٣/١٢٥ ، ١٩٦ •

(٤٥) انظر مجالس العلماء للزجاجى ص ١٠٧ •

كأنه قال : الذى أظنه أخاك ثم كنى عنه بعد ذكره وعلم المخاطب به فأضمره هاء يرجع الى الذى كأنه يريد : الذى أظنه اياه زيد فالمسألة جيدة(٤٦) ، أهـ .

تعقـــيب :

هذه المسألة اكتفى ابن الخيـاط فيها بالرواية عن شـيخه ثعلب واستحسانه لما ذهب اليه .

يلحظ فيما تقدم دور الزجاجى فى الرواية عن شيخه ابن الخياط فى مسائل كان ابن الخياط طرفا فيها أو راويا عن غيره .

وأحيانا نجد الزجاجى يرجع لابن الخياط فى محاوراته مع العلماء كالمحاورة بين الزجاجى وابن الأنبارى فى معنى المصدر والخلاف فى الفعل والمصدر وأيهما أصل .

قال الزجاجى(٤٧) :

فذكرت ما جرى لأبى بكر بن الخياط فقال : هذه أشياء يولدها من عنده ـ أى ابن الأنبارى ـ على مذاهب القوم ليست محكيـة عن الفراء ولا موجودة فى كتبه ولكنها مما يرى أنها تؤيد المذهب وتنصره ثم رأيته بعد ذلك بمدة بعيدة قد ذكر هذه الاحتجاجات أو قريبا منها فى كتبه ولم يرجع عنها أهـ .

كما نجد الزجاجى ينقل عن ابن الخيـاط رأيه فى معنى لفظ من الألفاظ مثال هذا : قال الزجاجى(٤٨) :

---

(٤٦) مجالس العلماء للزجاجى ص ١٠٧ .

(٤٧) الايضاح فى علل النحو للزجاجى ص ٦١ ـ ٦٣ .

(٤٨) ينظر : أخبار أبى القاسم الزجاجى ت د. عبد المحسن المبارك ص ٣٢ ، ٣٣ .

« أخبرنا الزجاج وابن الخياط عن ابن السكيت قال محمد بن عقيل وبلال بن جرير الربع : الجبل ، وقال غيره من أصحاب اللغة:الربع ما ارتفع من الأرض • أهـ •

د ــ مجلس ابن الخياط والفارسى

حدث أبو على الفارسى أنه حضر حلقة أبى بكر بن الخياط عند أبى العباس العمرى بنهر معقل فتحارينا الكلام فى مسائل وافترقنا ، فلما كان الغد اجتمعت معه عنده ، وقــد أحضر جماعة من أصــحابه يسألوننى فسألوننى فلم أر فيهم طائلا فلما انقضى سؤالهم قلت لأكبر تلامذه ابن الخياط سنا وأوفرهم معرفة : كيف تبنى من سفرجل مثل عنكبوت ؟ فابتدر مسرعا فقال : سفروت • فلما سمعت ذلك قمت فى المجلس قائما وصفقت بين الجماعة سفروت سفروت !

فاستحيا ابن الخياط وذلك أن عنكبوتا رباعى ، والواو والتــاء زوائد فلا يبنى مثله من سفرجل ، لأنه خماسى •

ثم نظر ابن الخياط الى تلامذته قائلا : لا أحسن الله جزاءكم ولا أكثر فى الناس مثلكم فكان آخر العهد به(٤٩) أهـ •

تعقــــيب :

هذه مناظرة بين الفارسى وابن الخياط الذى ظل صــامتا يرقب اجابة تلامذته ثم نراه يعجب من خطأهم •

---

(٤٩) ينظـر : الخصــائص ٣/٣٠٠ ، ٣٠١ ، والتبصرة والتذكرة للصيمرى ٢/٩٠٦ تحقيق د• فتحى أحمد مصطفى ، والبحر ٧/٢٦٠ ، ومعجم الأدباء ٧/٢٣٥ ، والمزهر للسيوطى ٢/٣٧٨ •

وقد نص ابن عصفور على هذه المسألة فى الممتع ٢/٧٣٥ حيث قال : « ولا يجوز أن تبنى من سفرجل مثل عنكبوت لأن الأصول من عنكبوت أربعة ومن سفرجل خمسة فأنت اذا بنيت منه مثل عنكبوت احتجت الى حذف حرف من الأصل لا يجوز بقياس وان كان محذوفا منوى مراد ، واذا كان كذلك بالضرورة أكثر أصولا من الذى يبنى عليه فلا يحصل التوافق »(٥٠) أهـ .

الناحية الثانية : المسائل النحوية والصرفية المنثورة والمتفرقة :

١ ــ العلة فى جعل الاعراب آخر الكلمة

اختلف النحاة فى علة جعل الاعراب آخر الكلمة على أقوال منها:

ذهب بعض النحاة الى أن الاعراب يدخل فى الاسم لمعنى عارض فى الكلمة فوجب أن يلفظ به ثم يؤتى بالاعراب فى آخر فيجب أن تستوفى الصيغة الموضوعة لمعناها اللازم ثم يؤتى بعد ذلك بالعارض كتاء التأنيث .

ورد ابن الخياط(٥١) هذا القول فقال :

ليس هذا القول بمرضى لأنا قد رأينا الأسماء يدخلها حروف المعانى أولا ووسطا ، فما دخلها أولا كقولك : الرجل والغلام ، وما دخلها وسطا ياء التصغير فى قولك : فريخ وفليس .

ولو كان الأمر على ما ذهب اليه قائل هذا الوجب أن لا يدخل

---

(٥٠) وانظر : شرح الملوكى فى التصريف لابن يعيش ص ٥١٣، ٥١٤ تحقيق فخر الدين قباوة .

(٥١) ينظر : الايضاح فى علل النحو ص ٧٥ ، ٧٦ ، والأشباه والنظائر ١/٨٢ ، ٨٣ .

على الاسم حرف معنى الا بعد كمال بنائه • قال ــ ابن الخياط ــ :
« والقول عندى وهو الذى عليه جلة النحـويين أن الاسم يبنى على أبنية مختلفة منها :

فَعْل و فِعْل و فَعَل و فَعَل و فِعِل وما أشبه ذلك من الأبنية ، فلو جعل الاعراب وسطا لم يدر السامع أحركة اعراب أم حركة بناء ، فجعل الاعراب فى آخر الاسم ، لأن الوقوف يدركه فيسكن فيعلم أنه اعراب فاذا كان وسطا لم يمكن ذلك فيه •

كما رده قطرب(٥٢) فقال : والمذهب الأول فاسد لأن كثـيرا من المعانى العارضة تدخل فى أول الكلمة ووسطها قبل استيفاء الصـيغة نحو الجمع والتصغير وهو معنى عارض وانما جعل آخرا لتعذر جعله وسطا اذ لو كان وسطا لاختلطت ابنية أ•هـ •

وما رد به قطرب قريب مما رد به ابن الخياط •

وقال الزجاج(٥٣) :

كان أبو العباس المبرد يقول : لم يجعل الاعراب أولا ، لأن الأول تلزمه الحركة ضرورة للابتداء ، لأنه لا يبتدأ الا بمتحرك ولا يوقف الا على ساكن ، فلما كانت الحركة تلزمه لم تدخل عليه حركة الاعراب ، لأن حركتين لا يجتمعان على حرف واحد ، فلما فات وقـوعه أولا لم يمكن أن تجعل وسطا ، لأن أوساط الأسماء مختلفة ، لانهـا تكون ثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية وسباعية وأوساطها مختلفة ، فلما فات ذلك جعل آخرا بعد كمال الاسم ببنائه وحركاته •

---

(٥٢) مسائل خلافية فى النحو لأبى البقـاء ص ٩٥ ــ ٩٨ تحقيق د• محمد خير الحلوانى •
(٥٣) الأشباه والنظائر ٨٣/١ •

وذهب بعض النحاة(٥٤) الى أن الاعراب دخل فى الكلام دليلا على المعانى ، فوجب أن يكون تابعا للأسماء لأنه قد قام الدليل على أنه ثان بعدها .

وهذا القول قريب من الأول .

وقد رجح أبو البقاء(٥٥) القول الأول فقال : « وأما ما تقض به — أى الأول — من التصغير والجمع معنيان يحدثان فى نفس المسمى وهما التكثير والتحقير وكذلك كانت علامتهما فى نفس السامع فيجب أن يبدأ بها أو تقترن بالصيغة لتثبت فى نفس السامع .

واحتج الآخرون الذين قالوا : ان الاعـراب لا ينبغى أن يكون موضعه أخيرا بأنه دل على معنى فى الكلمة فوجب أن يكون فى أصلها كالتصغير والجمع والتعريف والنفى والاستفهام وغير ذلك ، وانما عدل عن الأخير لاختلاط الأبنية والجواب عن هذا قد سبق أ.هـ .

وخلاصة القول فى المسألة أن كلا من الآراء المتقدمة مقنع ويمكن الأخذ به بلا ترجيح لأحد منها .

٢ — اذا الفجائية والخلاف فى نوعها

اذا قلت : « خرجت فاذا عبد الله قائم » فاذا هنا فجائية تختص بالجملة الأسمية ولا تحتاج الى جواب ، ولا تقع فى الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال ، وقد اختلف فى نوعها أهى ظرف أم حرف ؟

ذهب الرياشى والزجاج واختاره ابن طاهر وابن خروف والأستاذ

---

(٥٤) ينظر : الأشباه والنظائر ٨٣/١ .

(٥٥) مسائل خلافية فى النحو ص ٩٥ ، ٩٦ .

أبو علي الشلوبين الى أنها ظرف زمان فاذا قلت : خرجت فاذا زيد فالتقدير خرجت فالزمان حضور زيد ٠

وذهب الفارسي وابن جنى وأبو بكر بن الخياط(٥٦) وعزى هذا لسيبويه(٥٧) وعزى الى المبرد القولان ٠

قال ابن الخياط(٥٨) : اذا قلت : خرجت فاذا عند الله قائم تقديره : خرجت فبحضرتى عبد الله ، فاذا بمنزلة يحضرنى ظرف مكان وجائز أن يجيء معها الحال تقول : خرجت فاذا عبد الله قائما كما تقول : حضرت فبحضرتى عبد الله قائما فان أدخلت الـ فالرفع خبر عن عبد الله ولا يجوز نصبه ، لأنه معرفة والحال لا تكون معرفة فلما بطلت الحال الى الرفع ، لأنه لا ناصب له ، وأهل الكوفة يجيزون نصبه ، لأنه ظرف فيرفعون عبد الله كما يرفعون الأسماء بالظرف ثم يعملونها فى الخبر عمل وجدت ورأيت ٠

وقد رد أبو حيان(٥٩) على ابن الخياط فقال :

وهذا القول ظاهر الاحالة ان كانت اذا بمنزلة وجدت فسبيله أن ينصب بها الأسماء ويرفع الاسم كما تقول : وجدت عبد الله عالما وان كانت اذا مع عبد الله بمنزلة وجدت وجب أن ينصب بعد

---

(٥٦) ينظر : التذييل والتكميل جـ ٣/٣٣٥ رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة تحقيق د٠ حماد حمزة البحيرى برقم ٢١١٨/٢١٢٠، والارتشاف ١/٢٤٠ ٠

(٥٧) الكتاب ٤/٢٣٤ ٠

(٥٨) تذكرة النحاة لأبى حيان ص ٧٩ ، ١٨٠ تحقيق د٠ عفيفى عبد الرحمن ط مؤسسة الرسالة ٠

(٥٩) المصدر السابق ٠

عبد الله اسمان ، لأن وجدت هنا ليس من وجدان الضالة وانما هى بمنزلة علمت الناصبة مفعولين .

وان قالوا : ان اذا انما هى بمنزلة وجدت ولا تعمل عمل وجدت كما أن حسبك بمعنى الأمر وهو اسم ليس بمجـزوم فكذلك تقـول ويجب اذ ذاك رفع الاسمين اذا كانا معرفتين وبطل النصب ، وجاز فى القياس نصب الثانى على الحال اذا كان نكرة فقد وضح بهذا أن « فاذا هو هى » لا يجوز النصب فى « هى » ، لأنه لا ناصب لها ، لأنهما ابتداء وخبر وبطل أن تعمل اذا بلفظها عملين مختلفين عمـل الفعل والظرف كما زعموا فترفع الأول على أنها ظرف وتنصب الثانى على أنها فعل تنصب مفعولين فينصب بها واحد ولم يؤت بالفاعل ، وهذا مجال ، وان كان قولهم : فاذا هو اياها محفوظا عن العرب فهو من الشاذ الذى لا يعرج عليه(٦٠) أهـ .

وذهب جماعة من النحاة منهم الأخفش(٦١) الى أنها حرف واختاره الشلوبين(٦٢) فى أحد قوليه وكذا ابن مالك ويرجحه قولهم : خرجت فاذا ان زيدا بالبـاب ، بكسر ان ، « ان » لا يعمل ما بعدها فيمـا قبلها(٦٣) أهـ .

---

(٦٠) المصدر السابق .
(٦١) المغنى ص ١٢٠ .
(٦٢) الارتشاف ٢/٢٤٠ .
(٦٣) الارتشاف ٢/١٢٠ ، والهمع ١/٢٠٦ .

٢ ـ العامل فى اذا فى قوله تعالى « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجـل ينبئكم اذا مزقتم كل ممـزق انكم لفى خلق جـديد »(٦٤)

هذه الآية شغلت النحاة ومعربى آيات حتى عدوها من شكل آيات القرآن ، ولايضاح هذا القول :

ذهب البصريون(٦٥) الى أن اذا منصوبة بما فى جوابها من فعل أو شبهه فعاملها محذوف ، لأن الجواب غير صالح لنصبها ولذا قدروا لها عاملا محذوفا تقديره : تبعثون وحذف لدلالة ما بعده عليه .

وذهب الكوفيون(٦٧) الى أن اذا متعلقة بقوله : « لفى خـلق جديد » وان لم ينسب لهم هذا القول صراحة ولكنـه الرأى الذى تمسك به ابن الخياط(٦٧) وقد رجحه بعض الباحثين(٦٨) .

قال ابن جنى(٦٩) :

حدثنى أبو عـلى قال : اجتمعت مع أبى بـكر بن الخياط عنـد أبى العباس المعمرى بنهر معقل فى حديث حدثنيه طويل فسألته عن العامل فى اذا من قوله تعـالى « هل ندلكم على رجـل ينبئكم اذا

---

(٦٤) الآية ٧ سبأ .
(٦٥) البحر ٧/٢٦٠ .
(٦٦) المصدر السابق .
(٦٧) النحو والصرف فى مناظرات العلماء ومحاوراتهم ص ٣٥٢،٣٥٣
(٦٨) التبيان ٢/١٠٦٣ .
(٦٩) الخصائص ٣/٣٠٠ ، ٣٠١ .

مزقتم ... » قال : فسلك فيها مسلك الكوفيين فكلمته الى أن أمسك وسألته عن غيرها وغيرها ... » أهـ .

وقد رد بعضهم(٧٠) هذا القول بأن (ان) ولام الابتداء يمنعان من ذلك ، لأن لهما صدر الكلام ولا يصاح « جديد » أيضا أن يعمل فى « اذا » ، لأنه صفة والصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف .

وفريق ثالث من النحـــاة يرى أن العامل فى اذا فى الآيـــة هو شرطها (٧١) ونسب للمحققين فاذا عندهم منصوبة بـــ « مزقتم» وهذا لم يسلم من الاعتراض ، قال ابن الأنبارى(٧٢) :

زعم بعض النحويون أن العامل فيه « مزقتم » وليس بمرضى ، لأنه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل فى المضاف .

ورد ابن عطيه قول من يرى أن العامل فى اذا « مزقتم » بقوله: هو خطأ وفساد المعنى .

وهذا القول حسن رغـــم ما عليه من اعتراضـــات وذلك أن اذا الشرطية كأخواتها من أدوات الشرط التى يعمل فيها فعل الشرط وليس هناك ما يدعو الى اخراجها عن بقية الأدوات .

أما القول بأن المضاف اليه لا يعمل فى المضاف فهذا الاعتراض من ابن الأنبارى يرده أن اذا عندأصحاب هذا الرأى غير مضافة كما يقوله فيها اذا جزمت كقول الشاعر :

استغن ما أعناك ربك بالغنى واذا تصبك خصاصة فتحمل

---

(٧٠) المغنى ص ١٣٥ .
(٧١) المصدر السابق .
(٧٢) البحر ٧/٢٦٠ .

أما فساد المعنى الذى ذكره ابن عطية فغير متحقق ، لأن المعنى : ينبئكم أى يقول لكم اذا مزقتم كل ممزق تبعثون ، وأكده قوله : « انكم لفى خلق جديد » • فلا مانع أن يكون العامل فى اذا فى الآية شرطها وذلك تلحقها بأخواتها دون حاجة الى تقدير(٧٣) •

٤ ــ التأكيد بكلا وكلتا

من ألفاظ التأكيد (كلا) لمذكرين و (كلتا) لمؤنثين نقول : قام الزيدان كلاهما ، وقامت المرأتان كلتاهما ، فاذا قلت : رأيت أحد الرجلين كليهما ، والمال بين الرجلين كليهما ، واختصم الرجلان كلاهما• أيصح هذا ؟

ذهب الجمهور(٧٤) ــ ومنهم المبرد ــ الى جواز ذلك ، وذهب الفراء وهشام وأبو على الى المنع وروى عن الأخفش القولان •

كما أننا اذا قلنا : اللذان اختصما كلاهما أخواك•أيصح هذا ؟

قال أبو حيان(٧٥) :

واذا قلنا بالمنع كان « كلاهما » تأكيدا للموصول ، وقال أبو بكر(٧٦) بن الخياط : القائمان كلاهما مختصمان ان كان كلاهما من الأسماء توكيدا للضمير المستكن فى القائمين جازت المسألة،أو للألف واللام لم يجز فى قول من لم يجز اختصم الزيدان كلاهما ، وكذلك ان جعلت « كلاهما » مبتدأ وجعلت مختصمان خبره فهو خطأ•أهـ •

---

(٧٣) المصدر السابق •
(٧٤) ينظر : الارتشاف ٢/٦٠٨ ، ٦٠٩ •
(٧٥) المصدر السابق •
(٧٦) الارتشاف ٢/٦٠٩ •

والعلة فى هذا المنع أنه لا يصح حلول الواحد محلهما،لأنه لايحتمل أن يكون المراد اختصم أحد الزيدين فلا حاجة الى التأكيد(٧٧) •

ويدل على منع هذا أيضا أنهم لا يؤكدون فعل التعجب بالمصدر، لأن التأكيد لدفع توهم المجاز فى الفعل واثباته حاصل لكونه حقيقة ، اذ لا يتعجب من وصف شيء الا وذلك الوصف ثابت له فكما رفضوا تأكيده بالمصدر رفضوا تأكيد ما ذكر ، لأن المجاز لا يدخله •

وقد ذهب الجمهور الى تجويز هذا ، لأن العرب قد تؤكد حيثما لا يراد رفع الاحتمال كما أوتوا بأجمع وأكتع بعد كل ولا احتمال يرفع بهما لرفعه بكل •

والرأى أنه لا مسوغ لما لم يرد به مسموع عن العرب(٧٨) •

٥ ــ بقاء المضاف اليه مجرورا بعد حذف المضاف

يحذف المضاف ويبقى المضاف اليه مجرورا كما كان عند ذكر المضاف بشرط أن يكون المحذوف مماثلا لما عليه قد عطف كقول الشاعر:

أكل امرىء تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا

التقدير : وكل نار فحذف كل وأبقى المضاف اليه مجرورا كما كان عند ذكرها والشرط متوافر وهو العطف على مماثل المحذوف وهو « كل » فى قوله « أكل امرىء » •

وقد يحذف المضاف ويبقى المضاف اليه على جره والمحذوف ليس مماثلا للملفوظ بل مقابل له كقوله تعالى « تريدون عرض الدنيا والله

---

(٧٧) قطر الندى ص ٢٩٤ •
(٧٨) الهمع ١٢٣/٢ •

يريد الآخرة »(٧٩) فى قراءة من جر « الآخرة » والتقدير : والله يريد باقى الآخرة ومنهم من يقدره : والله يريد عرض الآخرة فيكون المحذوف على هذا مماثلا للملفوظ(٨٠) .

وجر المضاف اليه على هذه الحالة مقيس وليس مشروطا بتقدم نفى أو شبهة . وما خالف هذا فهو يحفظ ولا يقاس عليه . هذا ما ذهب اليه الجمهور(٨١) .

غير أن الكوفيين(٨٢) أجازوا القياس على المسموع كقول العرب: رأيت التيمى تيم عدى وتيم قريش ورأيت العبدى عبد مناف بالنصب والخفض فى كل قبيلة يكون فيها اشتراك . قال أبو على الفارسى : كأنه قال : صاحب تيم عدى دل ذكر التيمى على ذكر صاحب فأضمر الدلالة ، وقال السيرافى : الخفض على اضمار « من » التقدير : من تيم عدى ودل على « من » معنى النسب ، لأنك اذا قلت : زيد تيمى فكأنك قلت : من تيم ، وقال أبو عبد الله محمد بن مسعود : هو على اضمار مضاف تقديره من لفظ الأول أى تيمى تيم عـدى أغنى الأول عن الثانى .

وذهب الكوفيون الى أن موضع ياء النسب جر ولذلك خفض عندهم تيم عدى فتيم عندهم بدل من الياء .

وخرجها أبو بكر بن الخياط(٨٣) وابن شقير بالنصب على اضمار

---

(٧٩) من الآية ٦٧ الأنفال .

(٨٠) شرح ابن عقيل ٢/٧٥ ، ٧٦ دار القلم تحقيق الشـيخ قاسـم الشماعى الرفاعى مفتى لبنان .

(٨١) الأشمونى ٢/٢٤١ .

(٨٢) الارتشاف ٢/٥٣١ ، ٥٣٢ .

(٨٣) المصدر السابق .

أعنى ، ولا مانع من الرفع على اضمار هو ، قال ابن مالك : على تقدير أحديتم عدى عنده حكاه الفارسى .

والرأى فى المسألة على ما ذهب اليه البصريون وذلك لقلة الوارد عن العرب .

٦ ــ اعراب الوصف مبتدأ دون اعتماد على نفى أو استفهام

قال زهير(٨٤) :

فخير نحن عند الناس منكم اذا الداعى المثوب قال يالا

وقع خلاف فى « نحن » ان قدر فاعلا لزم اعمال الوصف غير معتمد على نفى أو استفهام وعمل أفعل فى الظاهر فى غير مسألة « الكحل » وهو ضعيف . فكيف يعرب اذا ؟

قال البغدادى(٨٥) :

« ... قال أبو بكر فى التذكرة البصرية : سألت عن هذا البيت ابن الخياط والمعمرى ، فلم يجيبا الا بعد مدة ، قالا : لا يخلو أن يكون « نحن » ارتفع بـ « خير » أو بالابتداء ويكون « خير » الخبر، أو يكون توكيدا للضمير الذى فى « خير » والمبتدأ محذوف،أى نحن

---

(٨٤) البيت من البسيط ويروى : البأس مكان الناس . المثوب من التثويب وأصله : أن يجىء الرجل مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر ثم سمى الدعاء تثويبا ولذلك قال يا لا أى : يا فلان . وانظره فى : المغنى ٢٨٩ ، ٥٨١ ، والنواد /٢١ ، والمقتضب ٢٨/١ ، والمقاصد النحوية ٥٢٠/١ ، والهمع ١٨١/١ ، والدرر ١٥٦/١ .

(٨٥) شرح أبيات المغنى ج ٤ /٣٢٧ تحقيق عبد العزيز باح وأحمد يوسف . دار المأمون دمشق .

خير ، ولا جائز أن يرفع بـــ « خير » ، لأن « خير » لا يرفع المظهر ألبتة ، ولا مبتدأ للزوم الفصل بالأجنبى بين أفعل وبين « من » وهو غير جائز .

فثبت أن « نحن » توكيد للضمير فى « خير » أه .

وقال الفارسى(٨٦) أيضا :

فان قال قائل : كيف جاز الفصل بـــ « نحن » بين «خير»وصلته، ولا يجوز : أفضل زيد عند الناس منك ، ولا نحو هذا مما يفصـــل به بين الصلة والموصول من الأشياء الأجنبية منها ؟

ففى ذلك عندى قولان : أحدهما : أن يكون قوله « خير » خبر مبتدأ محذوف كأنه فى التقدير : فنحن خير عند الناس منكم ، فنحن ليس مبتدأ لكنه تأكيد لمـــا فى « خير » من ضمير المبتدأ المحذوف ... وعند الناس العامل فيه « خير » ويجـــوز على وجه آخر أن يجعـــل « خيرا » صفة مقدمة يقدر ارتفاع « نحن » به كما يجيز أبو الحسن فى : قائم الزيدان أن ارتفاع الزيدون بـــ « قائم » فلا يقع على هذا أيضا فصل بشىء يكره ... فان قال قائل : أيجوز أن فى قوله : فخير نحن عند الناس منكم ، عـــلى أن يجعل « خير » خبر ابتـــداء مقدما ويكون « منكم » غير صلة ولكنها ظرف كأنه : فخير نحن عند الناس منكم كقول الشاعر(٨٧) :

---

(٨٦) المسائل المشكلة البغداديات مسألة رقم ٤٤ ص ٤١٥ ، ٤١٦ تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوى ط العانى بغداد

(٨٧) من السريع وهو للأعشى،وانظره فى : النوادر ٢٥ ، والخصائص ١/١٨٥/٣ : ٢٣٤ وابن يعيش ٣/٦/٦ : ٦٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، والأشمونى ٣/٤٧ .

ولست بالأكثر منكم حصى وانما العزة للكاثر

وتقديره : ولست بالأكثر منكم لا على حد : هو أفضل من زيد ألا ترى : أن الألف واللام تعاقب من هنا .

فالجواب : أن ذلك على التقدير بعيد وليس القصد له ولا المعنى عليه انما يريد : نحن خير منكم وأن المفزع الينا(٨٨) أهـ .

٧ ـ ما يعمل عمل الفعل

قال الزجاجى(٨٩) :

ضارب تعمل عمل يضرب ، كما أن يضرب أعرب ، لأنه مضارعه فكذلك ضارب يعمل عمله لمضارعته اياه فحمل كل واحد منهما على صاحبه ، والمصدر الذى يكون بمعنى « أن فعل » أو « أن يفعل » يعمل عمل اسم الفاعل ، لأنه اسم الفعل وفيه دليل على الفعل ولا يتقدم مفعوله على فاعله ، لأنه لم يقو قوة اسم الفاعل ولم يجىء تقديمه وتأخيره واضمار اسم الفاعل فيه فلذلك كان أنقص رتبة من اسم الفاعل . ولا يتقدم خبرها عليه ولا على اسمها لأنها لم تتصرف تصرف الأفعال فلذلك لم يجز فيها كل ما جاز فى الأفعال والصفة المشبهة باسم الفاعل هى أنقص مرتبة من المصدر ، لأنها ليست توقع فعلا سلف منك الى غيرك وانما جاز أن تعمل فيه ، لأنها ليست مشبهة باسم الفاعل ، لأنها صفة كما أنه صفة وأنه يثنى ويجمع ويذكر ويؤنث ... وقال أبو بكر بن الخياط فى قول الشاعر(٩٠) :

---

(٨٨) المسائل المشكلة البغداديات ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٨٩) الايضاح فى علل النحو ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٩٠) تمامه :

ما دام فيهن فصيل حيا قد دجا فهيا هيا

لتقربن قربا جلذيا

قال : جلذيا يصلح أن يكون نعتا للقرب ومعناه الشـــديد • قال العجاج :

فالخمس والخمس بها جلذى

أى : شديد ويقال جلذية اسم ناقته فأبدل من الهاء ألفا فى الوقف أراد جلذية على الترخيم(٩١) أهـ •

٨ ــ القول في وزن ارعوى

كثر الكلام فى هذا اللفظ وأمثاله ولايضاح هذا نقول :

قال سيبويه(٩٢) : هذا باب فعولت وما هو على مثاله مما لم نذكـــره • قالوا : خشن ، أخشوش، وسألت الخليـــل فقال : كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد ••• وربما بنى عليه الفعل فلم يفارقه ، كما أنه قد يجىء الشىء على أفعلت وافتعلت نحو ذلك ، لا يفارقه بمعنى، ولا يستعمل فى الكلام الا على بناء فيه زيادة • ومثال ذلك : اقطـــر النبت واقطار النبت ، لم يستعمل الا بالزيادة وابهار الليل ، وارعويت واجلوذت ••• أهـ •

وقال ابن منظور(٩٣) : فى معنى ارعوى وونه : ارعوى يرعوى

=

من رجز استشهد به ســيبويه على تقديم « فيهن » على « فصـــيل » والشاعر يخاطب ناقته لتسيرن الى المـاء سيرا حثيثا • وانظره فى : الكتاب ٥٦/١ ، واللسان جلذ •

(٩١) الايضاح فى علل النحو ١٣٥ ، ١٣٦ •

(٩٢) الكتاب ٧٥/٤ ، ٧٦ •

(٩٣) اللسان ١٦٧٨/٣ « رعى » ملخصا •

أى كف عن الأمور ... وقد ارعوى عن القبح . وتقديره افعول ووزنه افعلل وانما لم يدغم لسكون الياء والاسم رباعيا بالضم ، والرعوى بالفتح مثل البقيا والبقوى ... وقال الأزهرى : ارعوى جاء نادرا ولما أعلم فى المعتلات مثله ، كأنهم بنوه من الرعوى وهو البقاء .

وقد كان وزنه مما شغل ابن الخياط وكثر سؤال شيخه ثعلب عنه، قال ابن الخياط(٩٤) :

« أقمت سنين أسأل عن وزن ارعوى فلم أجد من يعرفه ، ووزنه له فرع وأصل فأصله أن يكون (افعل) مثل احمر كارعو وكرهوا أن يقولوا ذلك ، لأن الواو المشددة لم تقع فى آخر الماضى ولا المضارع ولو نطقوا بارعو ثم استعملوه مع التاء لوجب اظهار الواوين كأنهم اذا ردوا احمر الى التاء قالوا : احمرت وأظهروا المدغم فلم يقولوا: ارعووت فيجمعوا بين الواوين كما لم يقولوا : اقووت فقلبوا الواو الثانية منه ولاريب أن احدى الواوين زائدة كما لاريب أن احدى الواوين فى احمرت زائدة .

فان قيل : فما الحاصل فى وزن ارعوى ؟ قال : فجائز أن يقولوا افعلل قال : ولو قال قائل : افعلى لكان وجها ، والأول أقيس ، ولو قيل من الغزو مثل احمر لقيل : اغزوى كما قيل ارعوى وكذا جميع ذوات الثلاثة التى ياؤها فى موضع الواو جارية هذا المجرى(٩٥) أهـ .

---

(٩٤) التذييل والتكميل جـ ١ /١٧٣ ، ٥٩٢ رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية اللغة العربية بالقاهرة برقم ١٦٢٤/١٦٢٦ تحقيق د. مصطفى أحمد حباله .

(٩٥) ينظر : تذكرة النحاة ص ٣٢٦ .

مما استحسنه ابن الخياط

ذكر ابن خالوية(٩٦) (ت ٣٧٠) فى كتابه ليس فى كلام العرب بعض المسائل الدقيقة واستحسان العلماء لها من هؤلاء ابن الخياط وهاك بعضها :

١ ــ ما رجع فيه من معناه لفظه

ليس فى كلام العرب ولا فى شىء من العربية ما رجع فيه من معناه الى لفظه الا فى حرف واحد استخرجه ابن مجاهد من القرآن وهو قوله تعالى « ومن يؤمن بالله ورسوله »(٩٨) فوحد : يؤمن وذكره على لفظ من وكذلك قوله تعالى « يدخله جنات » على معنى « من » ثم قال تعالى « قد أحسن الله له رزقا » فرجع بعد الجمع الى التوحيد ومن المذكر الى المؤنث ، ومن لفظه الى معناه ؛ ولا يرجع من معناه الى لفظه ، اجماع من النحويين .

وكان ابن الخياط يتعجب من ذكاء ابن مجاهد وكيف استخرج هذا الحرف بفطنته وحدة أصغرية ، قال الله ــ عز وجل ــ «ومن يقنت منكن لله ورسوله »(٩٩) فذكر على لفظ « من » وهو يريد نساء

---

(٩٦) هو : أبو عبد الله ، الحسين بن محمد (٠٠٠ ــ ٣٧٠) نشأ بهمذان ووفد بغداد فأخذ عن ابن الأنبارى وابن دريد ونفطويه والسيرافى كما كانت له مناظرات مع المتنبى . من مؤلفاته : البديع فى القراءات والحجة فى القراءات السبع وليس فى كلام العرب تنظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٩/٢٠٠ ــ ٢٠٥ ، وأنباه الرواة ٢/١١٠ ــ ١١١ .

(٩٧) ليس فى كلام العرب ــ القسم الأول باب ١٣١ ص ٣٩ تحقيق محمد أبو الفتوح ــ مكتبة الشباب .

(٩٨) من الآية ١١ الطلاق .

(٩٩) من الآية ٣١ الأحزاب .

النبى ــ ﷺ ــ ثم قال تعالى « وتعمل صالحا » فأنت ولو قال : تقنت ويعمل صالحا لم يجز .

وقال سبحانه « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن »(١٠٠) فوحد وذكر على لفظ من ثم قال جل شأنه « ولا خوف عليهم » فجمع ، ورجع من لفظ من الى معناه ، ولا يجوز بل من أسلموا ثم يقول « وهو محسن » وهذا دقيق حسن أهـ .

٢ ــ ثلاثة أسماء صيرن اسما واحدا

قال ابن خالوية(١٠١) :

ليس فى كلام العرب ثلاثة أسماء صيرن اسما واحدا الا حرفا واحدا وهو قولهم : فرات باد قلى ــ حكاه الفراء .

وكان ابن الخياط يتعجب من ذلك انما يجعل الاسمان اسما واحدا مثل خمسة عشر ، وحضرموت ، وبعلبك ، وهو جارى بيت بيت بيت أهـ .

٣ ــ معنى عزويت

قال ابن خالويه(١٠٢) :

ليس أحد من أهل اللغة والنحو والتفسير : عزويت ، وهو فى كتاب سيبويه(١٠٣) ما عرفه الجرمى والمبرد ، فسمعت أبا بكر بن

---

(١٠٠) من الآية ١١٢ البقرة .

(١٠١) ليس فى كلام العرب القسم الأول باب ١٨٦ ص ٢٢ .

(١٠٢) ليس فى كلام العرب القسم الأول باب ١٩٦ ص ٣٦ .

(١٠٣) ذكر سيبويه أن التاء فيه زائدة ليست من أصول الكلمة ، قال وكذلك عزويت لأنه ليس فى الكلام فعويل . الكتاب ٤/٣١٦ .

الخياط يقول : سألت ثعلبا عن عزويت فقال : يروى بالعين ـــ عزويت ـــ وهو القصير ، وقال الطبرى محمد بن رستم ، قال لنا المـازنى : هو بالعين وكذلك اسم دابة يقال لها : عريقصان ، اختلفوا فيه فقال قوم : انما هو عرنقان ، وقال آخرون : عرقصان(١٠٤) أهـ .

والله ولى التوفيق ...

د/ ماهر عبدالغنى كريم

---

(١٠٤) ينظر : المسائل المشكلة البغداديات مسألة ٢ ص ٨١ بهامشها والمنصف لابن جنى ٣٨/٣ .